
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العلاقات الإسرائيلية الإفريقية في عالم متغير : رؤية عربية

د . حمدي عبد الرحمن حسن
أستاذ العلوم السياسية المشارك بجامعتي القاهرة وآل البيت ، ومدير مركز دراسات المستقبل الإفريقي بالقاهرة

على الرغم من كثرة المحاولات التي بذلت لدراسة طبيعة وتطور العلاقات بين إسرائيل ، منذ نشأتها المصطنعة عام 1984 ، وإفريقيا منذ بدايات التحرر الوطني والذي كانت غانا مؤشراً له عام 1957 ، إلا أنها في مجملها حملت أبعاداً ومضامين أيديولوجية حيث انحازت إما لإسرائيل وإما ضدها [1] . وربما يُعزى ذلك إلى أكثر من حقيقة واحدة : أولاً فرض الكيان الصهيوني في منطقة الشرق الأوسط أفضى إلى خلق نظام إقليمي صراعي بحيث أضحى سمة لازمة للتفاعلات العربية الإسرائيلية . يعني ذلك أن تحرك إسرائيل في تفاعلاتها الخارجية جعلها ترتبط بهذه الوضعية التي أخرجت علاقاتها مع دول المنطقة عن مصاف العلاقات الطبيعية بين الدول . وثانياً ارتباط وتأثر العلاقات الإسرائيلية الإفريقية بالعلاقات العربية الإفريقية ، أدى ذلك إلى النظر إلى القارة الإفريقية باعتبارها ساحة للتنافس والصراع بين إسرائيل والدول العربية . وثالثاً ارتباط كل من إسرائيل والعرب والأفارقة بمتغيرات النظام الدولي حيث تأثرت العلاقات بين هذه المجموعات بإرادة وتوجهات النظام الدولي سواء القديم أو الجديد . وربما يكون التغير الهيكلي الذي شهده النظام الدولي منذ بداية أعوام التسعينيات وأودى بحياة الحرب الباردة في غير صالح العرب والأفارقة وهو ما أفاد يقيناً الدولة العبرية التي راحت تعيد ترتيب أولويات حركتها الخارجية بما يحقق لها الهيمنة الإقليمية وأحلامها التوراتية في بناء دولة كبرى .

وتحاول هذه الدراسة تحليل أهداف ومحددات السياسة الإسرائيلية في علاقاتها بإفريقيا وذلك لبيان حقيقة الوجود الإسرائيلي في إفريقيا عبر فترات زمنية مختلفة وذلك في محور أول . أما المحور الثاني فإنه يركز على تطور العلاقات الإسرائيلية الإفريقية منذ بدايات التغلغل في الخمسينيات والستينيات ومروراً بالقطيعة الإفريقية لإسرائيل في السبعينيات وانتهاء بالعودة الثانية لإسرائيل في إفريقيا وما لحق بها من تغيرات وتحولات في

(1) انظر وراجع : عواطف عبد الرحمن : إسرائيل وإفريقيا 1948–1985 ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1985 . وانظر كذلك : Samuel Decalo, Israel and Africa : Forty years, 1956-1996, Gainesuille and London : Florida Academic Press, 1998.

مستوى الأهداف والسياسات . وأخيراً يتناول المحور الثالث التغير والثبات في قضايا العلاقات الإسرائيلية الإفريقية .

أولاً : أهداف ومحددات السياسة الإسرائيلية في إفريقيا

انطلاقاً من طبيعة نشأتها المصطنعة في المنطقة ومحاولتها تقويض أسس ودعائم الأمن القومي العربي حاولت إسرائيل تحقيق جملة من الأهداف في بناء علاقاتها الإفريقية (2) . وطبيعي أن هذه الأهداف تتسم بقدر من الثبات والتغير ، ومن ثم فإن ترتيبها في سلم أولويات صانع القرار الإسرائيلي قد يتغير من مرحلة إلى أخرى . وإذا أخذنا في الاعتبار الحقائق الجيوسياسية والإستراتيجية والاقتصادية المميزة للقارة الإفريقية لاستطعنا تحديد خمسة أهداف أساسية للوجود الإسرائيلي في إفريقيا وذلك على النحو التالي :

1- كسر حدة العزلة الدولية التي فرضتها عليها الدول العربية ومن سار في فلكها ، بالإضافة إلى محاولة كسب قواعد للتأييد والمساندة وإضفاء نوع من الشرعية السياسية عليها في الساحة الدولية . وعليه فقد كان الإدراك الإسرائيلي منذ البداية (أي خلال مرحلة الحرب الباردة) يتمثل في أن أي مكسب دبلوماسي لإسرائيل في إفريقيا يعني في المقابل القضاء على (أو على الأقل تحييد) مصدر محتمل لتأييد الدول العربية . يعني ذلك أن إسرائيل كانت تنظر إلى إفريقيا باعتبارها ساحة للنزال بينها وبين العرب وفقاً لقواعد النظرية الصفرية Zero-sum-game (3) .

2- كسب تأييد الدول الإفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث نظر إلى الدول الإفريقية باعتبارها بعيدة عن أي انحيازات مسبقة لصالح أي من الطرفين ، وهو ما يجعلها وسيطاً مقبولاً يدفع نحو إيجاد حل سلمي للصراع .

3- العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقديم إسرائيل على أنها دولة « نموذج » لشعب الله المختار . يفسر ذلك أن إسرائيل اعتمدت دائماً على تقديم المساعدات التقنية والتنموية للدول الإفريقية حتى في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية رسمية معها (4) .

---

(2) لا مراء في أنه على الرغم من إعلان زعماء إسرائيل دوماً عن غاياتهم النبيلة تجاه القارة الإفريقية ، فإن محور اهتمامهم الرئيسي كان ولايزال يرتكز على مصالح وأهداف واقعية ملموسة . انظر :
Mitchell G. Bard, "The Evolution of Israel's Africa Policy", Middle East Review, Winter 1988/89, p. 21.

(3) Decalo, Op.Cit., p. 18.

(4) Ibid., pp. 13-22.

4- السعي لتحقيق متطلبات الأمن الإسرائيلي من حيث تأمين كيان الدولة العبرية وضمان هجرة اليهود الأفارقة إلى إسرائيل وفقاً لقانون العودة ، والحيلولة دون أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية ، بالإضافة إلى التوسع على حساب متطلبات الأمن القومي العربي في المنطقة .

5- بناء قاعدة إستراتيجية لتحقيق الهيمنة الإقليمية hegemony لإسرائيل وذلك من خلال ما يمكن تسميته مبدأ شد الأطراف حيث تعتمد إسرائيل على النيل من أطراف نظام الأمن العربي باعتباره المستهدف في الإستراتيجية الإسرائيلية (5) . يتضح ذلك من خلال تركيز إسرائيل على دول إفريقية معينة مثل السنغال وإثيوبيا والكونغو الديمقراطية . كما أنها تحاول جاهدة مقاومة النفوذ العربي الراديكالي في المنطقة الإفريقية مثل مصر الناصرية وليبيا القذافي ، وعوضاً عن ذلك فهي تشجع إقامة أنظمة محافظة وموالية لها .

وإذا كانت السياسة الخارجية لأي دولة هي نتاج النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي السائد بالإضافة إلى مخزونها الثقافي والحضاري بما ينطوي عليه من قيم ومعتقدات ، فإن « المصلحة القومية » للدولة ، كما تحددها النخبة الحاكمة هي نتاج عوامل واقعية مثل الاعتبارات الأمنية وحقائق الأوضاع الجغرافية والاقتصادية وتوازنات القوى الدولية ... الخ . يعني ذلك أن ترتيب الأهداف السابقة في سلم أولويات السياسة الخارجية الإسرائيلية تجاه إفريقيا هي كما ذكرنا آنفاً عملية متغيرة من مرحلة لأخرى وتعتمد على مدركات صانع القرار الإسرائيلي لطبيعة العوامل الداخلية والإقليمية والدولية .

إن عملية التسوية السلمية في الشرق الأوسط والتي بدأت مع مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 أدت إلى تأمين الكيان الصهيوني بالمعنى العضوي والسياسي وذلك بعد دخول الأطراف الأساسية هذه العملية مصر والأردن والسلطة الفلسطينية . ومن ثم فإن الأهداف الإسرائيلية في إفريقيا لابد وأن يصيبها التبدل والتغير بحيث تعطي أولوية للاعتبارات الإستراتيجية الخاصة بالهيمنة وفتح أسواق جديدة للاستثمار . ليس بمستغرب إذن أن تقوم إسرائيل في عام 1994 بإنشاء غرفة التجارة الإسرائيلية الإفريقية لتشجيع رجال الأعمال الإسرائيليين على السفر إلى إفريقيا والاستثمار بها . ومن جهة أخرى فإن دخولها في معاهدة سلمية مع مصر وتبادل السفراء بينهما لا يعني قطعاً انتفاء حالة الصراع القديم بينهما في إفريقيا . وتحاول إسرائيل الاستفادة من وضعية النظام الدولي الجديد بعد هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية عليه . فقد قامت الإدارة الأمريكية بإعادة ترتيب أولوياتها في إفريقيا ولاسيما في ظل ما أطلق عليه الرئيس كلينتون « الشراكة بدلاً من المساعدات » إذ عادة ما يقترن الوجود الأمريكي بالوجود الإسرائيلي في المنطقة .

(5) حول تأصيل هذا المبدأ وأهميته ولاسيما من منظور الأمن القومي العربي . انظر : حامد عبد الله ربيع : نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل الدولي في منطقة الشرق الأوسط ، القاهرة : دار الموقف العربي ، 1984 ، ص233-236 .

واستناداً إلى ما سبق فإنه يمكن الإشارة إلى أبرز محددات السياسة الإفريقية لإسرائيل على النحو التالي :

محددات السياسة الإسرائيلية في إفريقيا :

1 – الصراع العربي الإسرائيلي (6) : حقيق على أي دارس لتطور العلاقات الإسرائيلية الإفريقية أن يعترف بأهمية ومحورية الصراع العربي – الإسرائيلي في تحديد مسار هذه العلاقات وذلك من مناحي مختلفة :

أولاً – انعكاسات الحرب الباردة على كل من النظامين الإقليميين العربي والإفريقي بدرجة أدت إلى استفادة إسرائيل بدرجة أكبر من غيرها من الأطراف الإقليمية .

ثانياً – إدراك إسرائيل المتزايد بأهمية إفريقيا بحسبانها ساحة من ساحات إدارة الصراع العربي – الإسرائيلي حيث اعترفت منذ البداية بثقل الصوت الإفريقي في الأمم المتحدة والذي برز واضحاً في مناسبتين الأولى هي قرار الأمم المتحدة الذي يساوي بين الصهيونية والعنصرية عام 1975 والثانية هي عندما تم إلغاء القرار نفسه عام 1991 في سابقة غير متكررة عبر تاريخ المنظمة الدولية .

ثالثاً – أن حركة المد والجزر في العلاقات الإسرائيلية الإفريقية ارتبطت بتطور الصراع العربي – الإسرائيلي ، فالمقاطعة الدبلوماسية الإفريقية لإسرائيل في السبعينيات ومعظم سنوات الثمانينيات ، ثم العودة الكاسحة لهذه العلاقات منذ بداية التسعينيات ارتبطت بحدثين هامين في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي أولهما هو حرب اكتوبر 1973 والثاني هو انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط عام 1991 .

رابعاً – أن حالة الضعف الإستراتيجي للقارة الإفريقية من حيث عدم وجود نظام قوي للأمن قد نظر إليها من جانب طرفا الصراع في الشرق الأوسط على أن إفريقيا ساحة للاستقطاب وتحقيق مكاسب على حساب الطرف الآخر .

ومن الجلي أن نشير هنا إلى أن إسرائيل نظرت ومنذ البداية ، وبغض النظر عن أهدافها ومراميها الأيديولوجية والتوراتية والبرجماتية إلى إفريقيا باعتبارها قادرة على القيام بدور محوري في تسوية محتملة للصراع العربي الإسرائيلي وذلك استناداً إلى عدد من الحقائق (وفقاً للرؤية الإسرائيلية) لعل من أبرزها (7) :

---

(6) انظر في ذلك :

Arye Oded, Africa and the Middle East Conflict, Boulder, Co. Lynne Rienner, 1987. and Charles Kwarteng, "The Arabs, Israel and Black Africa : The Politics of Courtship", Round Table, No. 322, April, 1992, pp. 167-82.

(7) Decalo, Op.Cit., p. 178.

أولاً – الصداقة المتبادلة بينها وبين كل من العرب والإسرائيليين ، وثانياً – تحررها من الأبعاد النفسية والأخلاقية الخاصة بطبيعة الصراع في الشرق الأوسط . وبالفعل طرحت عدة مقترحات إفريقية للوساطة بين العرب وإسرائيل وكان من بينها مبادرة الرئيس كوامي نكروما غير أنها باءت جميعاً بالفشل .

على أن حرب 1967 مثلت تطوراً مهماً في تاريخ التنافس الإسرائيلي العربي في إفريقيا حيث نظر الأفارقة إلى إسرائيل باعتبارها قوة احتلال تحتل أراضي دولة إفريقية . صحيح أن موقف منظمة الوحدة الإفريقية لم يكن حاسماً بدرجة كافية ، ولكنه أكد على تأييد قرار الأمم المتحدة 242 والقاضي بعدم شرعية احتلال إسرائيل للأراضي العربية . وكانت غينيا بقيادة الرئيس أحمد سيكوتوري هي الدولة الإفريقية الوحيدة التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل بعد عدوان 1967 مباشرة ، بيد أنه مع تصاعد الدعم العربي لحركات التحرر الوطني في الجنوب الإفريقي وخيبة أمل القادة الأفارقة من الدول الغربية لعدم مساعدتها في تنفيذ الخطة الإفريقية الرامية إلى عزل جنوب إفريقيا والبرتغال وروديسيا فإن الانتقاد الإفريقي للعدوان الإسرائيلي ازدادت حدته حتى وصل الأمر ، قبل نشوب حرب أكتوبر 1973 ، حد قطع العلاقات الدبلوماسية . ففي عام 1972 قامت أوغندا بقطع علاقاتها مع إسرائيل ثم تبعتها سبع دول أخرى هي تشاد ومالي والنيجر والكونغو برازفيل وبوروندي وزائير وتوجو [8] .

وإذا كانت حروب الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل قد أحدثت مزيداً من التعقيدات في مركب العلاقات الإسرائيلية الإفريقية فكذلك فعلت مبادرات التسوية السلمية في المنطقة . ففي أعقاب قيام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة القدس عام 1977 وتوقيعه على اتفاقات كامب ديفيد عام 1979 بذلت محاولت عربية دؤوبة لعزل مصر إفريقياً بيد أنها لم تنجح مطلقاً [9] . ففي القمة الإفريقية التي عقدت في ليبيريا عام 1979 قامت ست دول عربية أعضاء في المنظمة من بينها المغرب والجزائر وليبيا بمقاطعة القمة احتجاجاً على وجود السادات . وقد عملت إسرائيل حثيثاً على إعادة روابطها الإفريقية وهو ما اتضح جلياً في عودة علاقاتها مع زائير (الكونغو الديمقراطية) في 14 مايو 1982 .

إن تحليل الموقف الإفريقي بعد كامب ديفيد يفصح بأن الأساس الذي بمقتضاه اتخذت الدول الإفريقية قرار المقاطعة لإسرائيل قد انهار بعد تبادل السفراء بين كل من القاهرة وتل أبيب . وطبقاً لأحد الكتّاب الأفارقة فإن « مصر ، وهي عضو في منظمة الوحدة الإفريقية ، هي التي قادت إفريقيا لمقاطعة إسرائيل . أما

---

(8) خليل إبراهيم الطيار : محاولات إسرائيل العودة إلى إفريقيا وعلاقتها باتفاقية التعاون الإستراتيجي مع الولايات المتحدة ، مجلة « شؤون عربية » ، ع47 ، أيلول / سبتمبر 1986 ، ص164 .

(9) Kwarteng, Op.Cit., p. 178.

الآن فقد تبادلت كل من مصر وإسرائيل السفراء ، ومازلنا نحن الذين ذهبنا لمواساة مصر على فقدانها سيناء غير قادرين على العودة من هذه الجنازة إلى بيوتنا » (10) .

أياً كان الأمر فإن الإدراك الإفريقي لإسرائيل باعتبارها دولة صغيرة محدودة الموارد محاطة بأعداء من كل جانب ومع ذلك استطاعت بناء نموذج تنموي يمكن أن يحتذى قد تغير بعد احتلالها الأراضي العربية أثناء عدوان 1967 . بيد أن هذا الإدراك قد تغير مرة أخرى مع بدء مسيرة التسوية السلمية وكان ذلك مرة أخرى لصالح إسرائيل .

المكانة الإفريقية فى المنظومة الدولية :

على الرغم من أن إفريقيا كانت قارة مجهولة بالنسبة للعاملين في وزارة الخارجية الإسرائيلية في أعوام الخمسينيات ، إلا أنها لم تكن كذلك على مستوى التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي وذلك مقارنة بقارات العالم الأخرى . فأمريكا اللاتينية مثّلت دائرة نفوذ للولايات المتحدة الأمريكية ، كما أن إسرائيل وجدت دعماً ومساندة من القوى الغربية الرئيسية في أوروبا . وهنا كان عليها في سعيها للبحث عن الشرعية الدولية أن توجه أنظارها إلى آسيا وإفريقيا . أما بالنسبة لآسيا فقد كانت أشبه بالقارة « المغلقة » أمامها لعدة عوامل من بينها :

- وجود دول كبرى قطعت شوطاً كبيراً في ميدان التنمية الاقتصادية .
- وجود دول وجاليات إسلامية كبيرة ، وهو ما يجعلها أقرب لتأييد الموقف العربي .
- تضاءل فرص تسويق النموذج الإسرائيلي في التنمية في ظل وجود دول مثل الصين واليابان والهند .

وعليه ، فقد كانت إفريقيا ، التي تؤهلها مكانتها الجيو إستراتيجية فضلاً عن وجود عدد كبير من الدول بها والتي تتطلع للحصول على مساعدات تنموية وتقنية من الخارج ، الخيار المناسب أمام صانع القرار الإسرائيلي .

إن الأهمية الإفريقية في الأمم المتحدة من حيث قدرتها العددية لم تكن خافية على إسرائيل منذ البداية . فرئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن جوريون أكد على أن « الدول الإفريقية ليست غنية . ولكن أصواتها في المحافل والمؤسسات الدولية تعادل في القيمة تلك الخاصة بأمم أكثر قوة » (11) .

(10) Baffour Ankomah "Let Us Recognize Israel", New African, October 1988, p. 16.

(11) نقلاً عن : Decalo, Op.Cit., p. 37.

وكان هذا الإدراك الإسرائيلي يأتي دوماً في سياق الوعي بحقيقة الصراع العربي الإسرائيلي ، وإمكانية الاستفادة من الدور الإفريقي في هذا المجال . وليس أدل على هذه الأهمية من أنه عندما اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في منتصف يونيو 1967 في جلسة خاصة بناء على طلب من الاتحاد السوفيتي ، تأثر الموقف الإفريقي بدور الأطراف الخارجية ، ولاسيما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، حيث حاول كل منهما ممارسة الضغوط لصالح القرار الذي يتبناه . فقد طرح مشروع قرار باسم مجموعة عدم الانحياز قدمته يوغوسلافيا ونظر إليه على أنــه موالي للعرب ، كما طرح مشروع قرار آخر باسم مجموعة دول أمريكا اللاتينية ، ونظر إليه باعتباره موالياً لإسرائيل (12) .

وبتحليل السلوك التصويتي للمجموعة الإفريقيــة يمــكن التمييـز بين أربع مجموعات فرعيــة متباينــة (حسب الجدول رقم 1) ففي المجموعة الأولى صوتت ثمان دول إفريقية لصالح قرار أمريكا اللاتينية ، وهو ما يعني تأييداً للموقف الإسرائيلي . وقد ضمت المجموعة دولاً متعاطفة مع إسرائيل مثل ليبيريا وجامبيا وتوجو بالإضافة إلى غانا التي جاء تصويتها ضمن هذه المجموعة كنوع من الانتقام ضد مصر التي ساندت الرئيس نكروما والذي أطيح به في انقلاب عسكري عام 1966 .

أما المجموعة الثانية والتي ضمت 12 دولة إفريقية فإنها أيدت بشكل غير حاسم قرار أمريكا اللاتينية ، فهي إما صوتت لصالح القرار الأمريكي اللاتيني وامتنعت عن التصويت على القرار اليوغسلافي أو أنها صوتت لصالح القرارين معاً أو امتنعت عن التصويت عليهما معاً . وتضم المجموعة الثالثة دولتين فقط هما نيجـيريا والجابون ، حيــث أيدت بشكل غير حاسم القــرار اليوغسلافي . ويلاحــظ أن هذه المواقف المائعة لا علاقة لها البتة بطبيعة القرارين بقدر ارتباطها بمواقف ومتغيرات خارجية خاصة بالعلاقات مع أطراف النزاع .

وتضم المجموعة الرابعة دولاً مساندة للموقف العربي ومعادية لإسرائيل مثل موريتانيا والصومال وبعض الدول التي انتهجت سياسات راديكالية مثل مالي وغينيا ، كما أن البعض الآخر اتسم بوجود أغلبية إسلامية ترتبط بعلاقات وثيقة مع العالم العربي .

وعليــه ، إذا أخذنا بعين الاعتبار الدول التي ساندت الموقف الإسرائيلي ، سواء بشكل حاسم أو غير حاسم ، لوجدنا أنها تصل إلى عشرين دولة . بيد أن هذا التوجه تغير تماماً عند مناقشة قرار الأمم المتحدة الذي يعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية حيث صوت لصالح القرار عشرون دولة إفريقية من غير الأعضاء في جامعة الدول العربية (باستثناء الصومال وموريتانيا) ، كما عارض القرار خمس دول فقط ،

(12) Ibid., pp. 53-56.

بينما امتنع عن التصويت اثنتا عشرة دولة . وليس بخاف أن هذين المثالين يعكسان بجلاء الدور الإفريقي في الأمم المتحدة ، وهو ما ظهر مرة أخرى عند إلغاء هذا القرار عام 1991 .

جدول رقم (1)

السلوك التصويتي للمجموعة الإفريقية جنوب الصحراء

تجاه قرار الأمم المتحدة بشأن العدوان الإسرائيلي عام 1967 .

<table>
<tr><td>المجموعة الأولى</td><td colspan="2">صوتت بـ (نعم) على قرار أمريكا اللاتينية ،
وبـ (لا) على القرار اليوغوسلافي (الإجمالي 8)
بوتسوانا – ليبيريا – جامبيا – ملاجاشي –
غانا – مالاوي – ليسوتو – توجو</td></tr>
<tr><td>المجموعة الثانية</td><td colspan="2">أيدت قرار أمريكا اللاتينية ولكن بصورة غير حاسمة (الإجمالي 12)</td></tr>
<tr><td></td><td>دول صوتت لصالح قرار أمريكا اللاتينية
وامتنعت عن التصويت على القرار
اليوغوسلافي
إفريقيا الوسطى – كوت ديفوار – تشاد
سيراليون – بنين – بوركينا فاسو – إثيوبيا</td><td>دول صوتت لصالح القرارين
معاً
رواندا – الكونغو كينشاسا –
الكاميرون – كينيا – النيجر</td></tr>
<tr><td>المجموعة الثالثة</td><td colspan="2">أيدت القرار اليوغوسلافي ولكن بصورة غير حاسمة ؛
صوتت لصالح القرار اليوغوسلافي وامتنعت عن التصويت
على قرار أمريكا اللاتينية (دولتان فقط)
نيجيريا – الجابون</td></tr>
<tr><td>المجموعة الرابعة</td><td colspan="2">صوتت لصالح القرار اليوغوسلافي وضد قرار أمريكا اللاتينية
(الإجمالي 10 دول)
بوروندي – السنغال – الصومال – أوغندا – زامبيا – الكونغو برازفيل –
غينيا – مالي – موريتانيا – تنزانيا</td></tr>
</table>

الجاليات اليهودية فى إفريقيا :

من المعلوم أن إفريقيا تحتضن بين ظهرانيها جاليات يهودية متفاوتة الأحجام ومتباينة القوة والتأثير (13) . ففي شمال إفريقيا جماعات من اليهود السيفارديم الذين قدموا بالأساس من إسبانيا والبرتغال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . أضف إلى ذلك فقد قدمت إلى إفريقيا جماعات من اليهود الأشكيناز من شمال وشرق أوروبا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . وإذا كان حجم هذه الجاليات ، خارج جمهورية جنوب إفريقيا ، هو جد متواضع ، إلا أن وضعها الاقتصادي في بعض دول إفريقيا جنوب الصحراء مثل كينيا يتسم بالقوة والتأثير .

ويمكن القول إن يهود الفلاشا الإثيوبيين يمثلون واحدة من أفقر الجاليات اليهودية في العالم على الرغم من اعتقادهم الراسخ بأنهم يمثلون القبيلة المفقودة في التاريخ الإسرائيلي . وقد تم نقل معظم الفلاشا إلى إسرائيل جواً عبر السودان فيما عرف باسم « العملية موسى » والتي بدأت عام 1983 ووصلت إلى ذروتها خلال الفترة من نوفمبر 1984 وحتى مارس 1985 (14) .

وبالمقابل فإن الجالية اليهودية في جنوب إفريقيا تعد واحدة من أغنى الجاليات اليهودية في العالم . وطبقاً لأحد التقديرات فإن مساهمة يهود جنوب إفريقيا في خزانة الدولة العبرية تأتي في المرتبة الثانية بعد مساهمة يهود الولايات المتحدة . بيد أنه إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم كل من الجاليتين نلاحظ أن تبرعات يهود جنوب إفريقيا نسبة إلى كل شخص تفوق في بعض السنوات تبرعات اليهود الأمريكيين .

ولعل القضية المثيرة للاهتمام عند دراسة أوضاع الجالية اليهودية السوداء في إسرائيل تتصل بمفهوم الهوية اليهودية السوداء ونظرهم إلى إسرائيل باعتبارها جزءاً من التراب الإفريقي ، إذ كان يقطنها في الأصل شعوب إفريقية داكنة البشرة (15) .

---

(13) Ali A. Mazrui,m The Africans : A Triple Heritage, London : BBC Publication, 1986, p. 85.

(14) يقدر إجمالي يهود الفلاشا الذين نقلوا إلى إسرائيل بمقتضى قانون العودة بنحو أربعين ألفاً ، انظر :
Steven Kaplan, The Beta Israel (Falasha) in Ethiopia : From Earliest Times to the Twentieth Century, New York : New York University Press, 1992.

(15) انظر في تفصيلات ذلك :
Fran Markowitz, Israel as Africa, Africa as Israel : 'Divine Geography' in the Personal Naritives and Community Identity of the Black Hebrew Israelites, Anthropological Quarterly, Vol. 69, No. 4, October 1969, pp. 193-206.

وأياً كان الأمر فإنه لا يمكن التقليل من أهمية متغير الجاليات اليهودية في توجيه وتخطيط العلاقات الإسرائيلية الإفريقية ، إذ لا يخفي أن نحو (20%) من إجمالي المهاجرين اليهود إلى إسرائيل خلال الفترة من 1948 وحتى 1995 هم من إفريقيا [16] .

ثانيا- مراحل تطور العلاقات الإسرائيلية الإفريقية

شهدت سياسات التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا مردودات متباينة ، بحيث يمكن التمييز بين خمس مراحل أساسية في تطور مسيرة العلاقات بين إسرائيل وإفريقيا وهي :

- المرحلة الأولى 1948–1957 .
- المرحلة الثانية 1957–1973 .
- المرحلة الثالثة 1973–1982 .
- المرحلة الرابعة 1982–1991 .
- المرحلة الخامسة 1991–

ولنتابع هذه المراحل بشيء من التفصيل :

1- المرحلة الأولى 1948–1957 : البحث عن شرعية الوجود وتأمين الكيان :

بعد إعلان قيام الدولة العبرية عام 1948 أولى صانع القرار الإسرائيلي اهتماماً كبيراً بتأسيس علاقات قوية وراسخة مع القوى الكبرى الأساسية في العالم مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي . يعني ذلك أن إسرائيل في بحثها عن شرعية الوجود على الساحة الدولية وتأمين وجودها العضوي لم تنظر إلى المستعمرات الإفريقية ، بل انصب جل اهتمامها على القوى الاستعمارية الأوروبية [17] . ومن أبرز هذه المؤشرات التي تؤكد هذا المنحى الإسرائيلي أن إسرائيل لم يكن لديها بنهاية عام 1957 سوى سبع سفارات فقط في العالم بأسره ، ست منها في القارة الأوروبية وأمريكا الشمالية .

---

(16) وطبقاً لإحصاءات مؤسسة التعاون الإسرائيلي الأمريكي فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود إلى إسرائيل والقادمين من إفريقيا حوالي (484067) وذلك على النحو التالي (381618) من المغرب العربي و (48624) من أثيوبيا و (37548) من مصر والسودان ، وأخيراً حوالي (16277) من جنوب إفريقيا . انظر :

The American – Israeli Cooperative Enterprise 1988 at (WWW.US-Israel.org./Jsource/immigration).

(17) ومع ذلك فإن القوى الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا أفسحت الطريق واسعاً أمام التغلغل الإسرائيلي في المستعمرات الإفريقية ، انظر في ذلك : عواطف عبد الرحمن ، مرجع سابق ، وخليل الطيار ، مرجع سابق ، ص166 .

ومن الجلي أن القارة الإفريقية جنوب الصحراء كانت بمثابة أراضٍ مجهولة (terra incognita) بالنسبة للعاملين في وزارة الخارجية الإسرائيلية . ومن جهة أخرى ، كانت إفريقيا جنوب الصحراء خاضعة للاستعمار الأوروبي ، باستثناء دولتين فقط هما إثيوبيا وليبيريا ، وكلتاهما معزول تماماً عن إسرائيل . وعلى الرغم من إبداء كل من الإمبراطور هيلاسلاسي والرئيس الليبيري وليم توبمان تعاطفاً مع إسرائيل خلال مناقشات خطة التقسيم في الأمم المتحدة إلا أنهما لم يرغبا في إقامة علاقات مع دولة تمتلك العديد من الأعداء . كان منطقياً أن لا يوجد دبلوماسي إسرائيلي واحد مقيم شمال جوهانسبرج حتى حدوث الانفراجة في العلاقات الإسرائيلية الإفريقية مع حصول غانا على استقلالها عام 1957 .

على أن نقطة التحول الأساسية التي دفعت إلى حدوث تحول كبير في الدبلوماسية الإسرائيلية تجاه إفريقيا تمثلت في عقد مؤتمر باندونغ عام 1955 ، إذ لم توجه الدعوة لإسرائيل لحضور هذا الحدث التاريخي الهام ، بل ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد حيث أدان المؤتمر في بيانه الختامي احتلال إسرائيل للأراضي العربية . ويوضح أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين « صدمة » باندونغ على إسرائيل بقوله « لقد مثل باندونغ أكبر انتكاسة دبلوماسية لنا ، إنه أقسى مأساة عانيناها ، حيث تجمع أكثر من مليار ونصف شخص في مواجهة نحو 1.8 مليون في إسرائيل . وهذا بحد ذاته تحطيم معنوي لنا في وزارة الخارجية » (18) .

على أن ثمة متغيرات أخرى دفعت إلى توجيه الأنظار الإسرائيلية إلى إفريقيا وليس إلى آسيا ، كما ذكرنا آنفاً ، وهو ما أدى إلى دخول العلاقات الإسرائيلية الإفريقية في الستينيات مرحلة جديدة .

2- المرحلة الثانية 1957-1937 : سياسات التغلغل

يمكن التأريخ لبداية الانطلاقة الإسرائيلية في إفريقيا بعام 1957 حيث كانت إسرائيل أول دولة أجنبية تفتح سفارة لها في أكرا بعد أقل من شهر واحد من حصول غانا على استقلالها (19) . ومن المعلوم أن الاتصالات الإسرائيلية الغانية بدأت من خلال الاتحادات العمالية في البلدين حيث اجتمع ممثلي هذه الاتحادات في المحافل الدولية وتبادلوا الزيارات . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن إسرائيل كانت تقدم نفسها باعتبارها دولة صغيرة الحجم مواجهة بمشكلات وتحديات جمة ، ومع ذلك تطرح نموذجاً تنموياً يحتذى من قبل الدول النامية الأخرى ، لتفهمنا طبيعة علاقاتها المبكرة بالدول الإفريقية . لقد عبَّر عن هذه المعاني والدلالات السكرتير العام لرابطة اتحادات العمال في غانا جون تيتيجا بعد زيارته إسرائيل عام 1957 بقوله

---

(18) Decalo, Op.Cit., p. 30.

وحول صدمة باندونغ للسياسة الإسرائيلية ، انظر :

Kwarteng, Op.Cit., p. 168.

(19) Ibid., p. 168.

« لقد حصلت من إسرائيل خلال ثمانية أيام فقط ما لا أستطيع أن أحصل عليه خلال سنتين في جامعة بريطانيا » [20] .

وقد لعبت السفارة الإسرائيلية في أكرا دوراً كبيراً في تدعيم العلاقات بين البلدين وهو ما دفع إلى افتتاح سفارتين أخريين في كل من منروفيا وكوناكري وذلك تحت تأثير إمكانية الحصول على مساعدات تنموية وتقنية من إسرائيل . ومن جهة أخرى فقد تجسدت الرغبة الإسرائيلية في تأسيس علاقات قوية مع إفريقيا في قيام جولدا مائير – وزيرة الخارجية الإسرائيلية آنذاك – عام 1958 بزيارة إفريقيا لأول مرة حيث اجتمعت بقادة كل من ليبيريا وغانا والسنغال ونيجيريا وكوت ديفوار .

وثمة مجموعة من المتغيرات الدولية والإقليمية أسهمت في تكثيف الهجرة الإسرائيلية على إفريقيا ، ومن ذلك :

- حصول عدد من الدول الإفريقية على استقلالها في الستينيات أدى إلى زيادة المقدرة التصويتية لإفريقيا في الأمم المتحدة ، حيث كان الصراع العربي الإسرائيلي من أبرز القضايا التي تطرح للتصويت .
- إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963 وضع تحدياً أمام إسرائيل ، حيث إنها لا تتمتع بالعضوية في هذا التجمع الأفرو عربي .
- عضوية مصر المزدوجة في كل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية أعطاها فرصة إقامة تحالفات مع بعض القادة الأفارقة الراديكاليين من أمثال نكروما وسيكوتوري .

وبحلول عام 1966 كانت إسرائيل تحظى بتمثيل دبلوماسي في كافة الدول الإفريقية جنوب الصحراء باستثناء كل من الصومال وموريتانيا . ومع ذلك فإن إفريقيا كانت بمثابة ساحة للتنافس العربي الإسرائيلي . ولنأخذ مثالاً على ذلك سياسة غانا في ظل نكروما (1957–1966) تجاه إسرائيل . إذ رغم دفاعه عن الحقوق العربية المشروعة إلا أن نكروما لم يقم قط بقطع علاقاته بإسرائيل . وفي القمة الإفريقية الأولى في القاهرة عام 1964 عبر نكروما عن قناعته بأن مصر وحدها لا تستطيع حل مشكلة الشرق الأوسط وإنما بمقدور الولايات المتحدة الإفريقية أن تفعل ذلك . ومن ناحية أخرى لم يظهر نكروما أي موقف عدائي للصهيونية سواء في كتاباته أو أحاديثه السياسية [21] .

---

(20) نقلاً عن : Decalo, Op.Cit., p. 34.

(21) قامت غانا بإنشاء شركة ملاحة مشتركة هي « بلاك ستار لاين » كان نصيب الحكومة الغانية 60% وشركة ملاحة زم إسرائيل 40% ، ولذلك فإن هذه الشركة وقعت تحت طائلة المقاطعة العربية ، انظر :

Kwarteng, Op.Cit., p. 168.

3- المرحلة الثالثة 1973-1982 : أعوام المقاطعة

قبل حرب أكتوبر 1973 كانت إسرائيل تقيم علاقات دبلوماسية مع خمس وعشرين دولة إفريقية . بيد أنه في الأول من يناير عام 1974 تقلص هذا العدد ليصل إلى خمس دول فقط هي : جنوب إفريقيا وليسوتو ومالاوي وسوازيلاند وموريشيوس .

وليس بخاف أن الدول الإفريقية التي قامت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل قد فعلت ذلك تأييداً للموقف المصري بحسبان مصر دولة إفريقية تسعى إلى استعادة أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي [22] . بيد أن بعض الباحثين يحاول تفسير الموقف الإفريقي على أنه كان يرمي إلى الحصول على المساعدات العربية ولاسيما من الدول النفطية [23] .

وثمة مجموعة من العوامل أسهمت في دعم الموقف العربي في مواجهة الكيان الصهيوني خلال عقد السبعينيات . فقد شهدت هذه الفترة ظهور تجمعات لدول العالم الثالث تعبر عن مستوى أو آخر من التضامن مثل منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) ومجموعة الـ 77 . كما أن إسرائيل جوبهت بسلاح البترول العربي ودعم كثير من دول العالم الثالث للموقف العربي . ففي عام 1973 أصبح الرئيس الجزائري هواري بومدين رئيساً لحركة عدم الانحياز ، وأثناء مؤتمر الحركة في الجزائر في العام نفسه ، اتخذ المؤتمرون قرارات تؤيد كل من مصر وسوريا والأردن في استعادة أراضيها المحتلة ، كما تدعو إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل . وكانت كل من كوبا وزائير وتوجو من أوائل الدول التي تستجيب لدعوة المقاطعة تلك .

وفي عام 1974 رشح وزير الخارجية الجزائري عبد العزيز بوتفليقة رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد استطاع العرب وبمساعدة قوتهم النفطية إضفاء مزيد من الشرعية الدولية على منظمة التحرير الفلسطينية . لا غرو إذن أن تتم دعوة ياسر عرفات في 13 نوفمبر 1974 لإلقاء خطاب أمام الجمعية العامة ، وأن يعامل معاملة رؤساء الدول ، وذلك بشكل غير مسبوق في تاريخ المنظمة الدولية .

إضافة لما سبق ، فقد نجحت الحملة العربية الرامية إلى عزل إسرائيل ووصفها بالعنصرية ، حيث تمت مساواتها بالنظام العنصري في جنوب إفريقيا . واستفادت الحملة العربية من المواقف والسياسات الإسرائيلية في إفريقيا مثل :

(أ) الدعم الإسرائيلي للحركات الانفصالية الإفريقية على شاكلة بيافرا في نيجيريا وجنوب السودان .

(ب) دعم وتأييد نظام التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا .

---

(22) Oded, Op.Cit., p. 2.

(23) Ibid., pp. 1-28.

صفوة القول إن الموقف الإفريقي وإن كانت له دلالات سياسية ودبلوماسية واضحة من زاوية الصراع العربي الإسرائيلي إلا أن إسرائيل ظلت على علاقة وثيقة – ولو بشكل غير رسمي – مع معظم الدول الإفريقية التي قامت بقطع العلاقات معها . وليس أدل على ذلك من أن التجارة الإسرائيلية مع إفريقيا خلال الفترة من عام 1973 وحتى عام 1978 قد تضاعفت من 54.8 مليون دولار إلى 104.3 مليون دولار . وتركزت هذه التجارة بالأساس في الزراعة والتكنولوجيا (24) .

وبنهاية عقد السبعينيات وأوائل الثمانينيات كثفت إسرائيل جهودها من أجل إعادة علاقاتها الدبلوماسية بإفريقيا حيث قام وزير خارجيتها بإجراء اجتماعات مباشرة مع الزعماء الأفارقة سواء في الأمم المتحدة أو في العواصم الإفريقية . ومع ذلك فقد باءت هذه الحملة الإسرائيلية بالفشل وهو الأمر الذي دفع إحدى الصحف الإسرائيلية إلى عدم توقع قيام أي دولة إفريقية كبرى بإعادة علاقاتها مع إسرائيل في المستقبل المنظور .

4- المرحلة الرابعة 1982-1991 : العودة الثانية

استمرت إسرائيل في سياستها الرامية للعودة إلى إفريقيا وذلك من خلال تدعيم وتكثيف اتصالاتها الإفريقية في المجالات كافة دون اشتراط وجود علاقات دبلوماسية . وفي عام 1982 أعلنت دولة إفريقية واحدة هي زائير عن عودة علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل . فما هي الدوافع التي أدت إلى تغيير الموقف الزائيري ؟ يمكن الإشارة إلى ثلاثة دوافع أساسية (25) :

أولاً : انسحاب إسرائيل من سيناء ، حيث كان الاحتلال الإسرائيلي لها هو السبب الأساسي وراء المقاطعة الدبلوماسية الإفريقية لإسرائيل .

ثانياً : استئناف العلاقات سوف يؤدي إلى مزيد من المساعدات الاقتصادية والتنموية الإسرائيلية لزائير .

ثالثاً : الاستفادة من النفوذ الإسرائيلي داخل الولايات المتحدة لمصلحة استمرار الدعم الأمريكي لنظام موبوتو .

على أن الدول الإفريقية الأخرى التي حافظت على علاقات وثيقة غير رسمية مع إسرائيل لم تنهج نفس المسلك الزائيري وربما يعزى ذلك إلى العوامل الآتية :

---

(24) Ibid., pp. 76-79 and See Also Naomi Chazan "Israel in Africa" the Jerusalem Quarterly, Vol. 18, Winter 1981, pp. 30-32.

(25) Oded, Op.Cit., pp. 178-180.

وانظر أيضاً : Olusola Ojo, Africa and Israel : Relations in Perrespective, Boulder : Westview Press, 1988, pp. 95-96.

- أن قرار الرئيس موبوتو كان منفرداً ولم يتم بالتنسيق مع الدول الأخرى . وقد حاجج البعض بأن قرار قطع العلاقات مع إسرائيل كان برعاية منظمة الوحدة الإفريقية في أواخر الستينيات ومن ثم ينبغي أن يكون استئناف هذه العلاقات بقرار من المنظمة ذاتها .

- أن الدول العربية كثفت من حملتها الدبلوماسية المضادة حيث استخدمت سلاح المساعدات الاقتصادية والتقنية كأداة للترغيب والترهيب في آن واحد .

- أن إسرائيل قامت في الأسبوع الأول من يونيو عام 1982 بغزو لبنان وهو ما يؤكد نزعتها التوسعية والعدوانية .

وتفصح القراءة المتأنية للموقف الزائيري في أوائل أعوام الثمانينات أن الرئيس موبوتو كان بحاجة ماسة إلى المساعدات العسكرية الإسرائيلية ولاسيما في ميدان تدريب الجيش وحرسه الجمهوري . ويعكس بروتوكول التعاون العسكري الذي وقعه وزير الدفاع الإسرائيلي إريل شارون مع الرئيس موبوتو في نوفمبر عام 1981 هذه الحاجة التي مثلت حافزاً أساسياً لعودة العلاقات . فالبروتوكول ينص على أنه يسعى إلى : « تأسيس نظام أوسع للتعاون يقوم على مبدأ المنفعة المتبادلة ولاسيما في ميدان الأمن القومي بما يمكن البلدين من مواجهة أي خطر مهما كان حجمه أو نوعه . وتطرح متطلبات الأمن القومي لكل من زائير وإسرائيل إمكانات واسعة النطاق لتعاون ثنائي ومتبادل مثمر ، تفضي إلى زيادة المقدرة الدفاعية على المستوى العسكري لكل من البلدين ، بالإضافة إلى تلبية متطلبات أمن كل منهما بشكل عام » [26] .

وليس بخاف أن متغيرات البيئة الداخلية في زائير منذ أحداث إقليم شابا في جنوب البلاد – وهو الإقليم الغني بالمعادن – ومحاولته الانفصال عامي 1977 و 1978 تمثل مدخلاً مهماً لتفهم التحرك الزائيري . صحيح أن التدخل الأجنبي من قبل الولايات المتحدة وفرنسا وبلجيكا والمغرب ومصر أدى إلى سحق تمرد الإقليم ودعم نظام موبوتو ، إلا أن بداية عام 1981 شهدت إحجاماً واضحاً من جانب حلفاء موبوتو التقليديين ولاسيما فرنسا ، التي شهدت وجود حكومة جديدة بزعامة فرانسوا ميتران ، وبلجيكا ، عن التورط في أي أزمة داخلية أخرى في زائير .

وتمثلت مؤشرات إحجام حلفاء موبوتو عن مساعدته فيما يلي [27] :

---

(26) نقلاً عن : Noah Dropkin, "Israel's Diplomatic Offensive in Africa : The Case of Zaire", Trans-Africa Forum, Spring 1992, Vol. 9, No. 1, p. 19.

(27) Ibid., pp. 20-21.

- ظهور الحكومة الفرنسية الجديدة وكأنها غير راضية عن دورها العسكري التقليدي في إفريقيا ، وهو ما أثبتته خبرة الإطاحة بالرئيس ديفيد داكو في إفريقيا الوسطى حيث رفضت فرنسا التدخل من أجل إعادته للسلطة .
- تباطؤ الحكومة الفرنسية في توجيه الدعوة لموبوتو لزيارة فرنسا .
- نقل مقر القمة الإفريقية الفرنسية من كينشاسا إلى باريس .
- وعلى الجانب البلجيكي ، وافقت الحكومة البلجيكية على منح الحق اللجوء السياسي لرئيس الوزراء الزائيري السابق نجوزو كارل بوندو الذي كان من أشد معارضي موبوتو آنذاك .

وإذا أخذنا في الاعتبار قيود التحرك الخارجي فإن الملجأ الأخير أمام موبوتو تمثل في إسرائيل . ويمكن القول إجمالاً إن الصراع العربي الإسرائيلي أضحى محدود التأثير في مجمل العلاقات الإسرائيلية الإفريقية . بل إن ثلاث دول إفريقية هي إفريقيا الوسطى وكينيا وإثيوبيا أعلنت عن عودة علاقاتها مع إسرائيل ساعة وصول الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى ذروتها . وقد حاججت بعض هذه الدول أنها أعادت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل بغية المساهمة في عملية السلام الشرق أوسطية . فهل يعقل أن تقوم دولة محدودة الموارد مثل إفريقيا الوسطى بدور في عملية السلام العربية الإسرائيلية .

5- المرحلة الخامسة 1991- : سياسات التطبيع

لقد شهدت هذه المرحلة إعادة تأسيس العلاقات بين إسرائيل وإفريقيا مرة أخرى ولاسيما خلال عامي 1991 ، 1992 وربما يعزى ذلك إلى :

- التغيرات في النظام الدولي وانعكاساته الإقليمية .
- سقوط النظم الشعبوية والماركسية اللينينية في إفريقيا .
- الدخول في العملية التفاوضية بين العرب وإسرائيل منذ مؤتمر مدريد .

وقد تسارعت عودة العلاقات الإسرائيلية الإفريقية حتى إنه في عام 1992 وحده قامت ثماني دول إفريقية بإعادة تطبيع علاقاتها مع إسرائيل . وتسعى إسرائيل إلى تعزيز سياساتها الإفريقية بدرجة تفوق طموحاتها خلال عقد الستينيات وأوائل السبعينيات . وطبقاً للبيانات الإسرائيلية فإن عدد الدول الإفريقية التي أعادت علاقاتها الدبلوماسية أو أسستها مع إسرائيل منذ مؤتمر مدريد في أكتوبر / تشرين الأول 1991 قد بلغ ثلاثين دولة [28] .

---

(28) Israel Ministry of Foreign Affairs, Israel's Diplomatic Missions Abroad, at (WWW.mfa.gov.il/).

وإذا كانت مصر هي الدولة العربية الإفريقية الوحيدة التي تمتلك علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل فإن هناك أربع دول عربية إفريقية أخرى هي تونس والمغرب وموريتانيا وجزر القمر تجمعها بإسرائيل روابط دبلوماسية على مستوى مكاتب الاتصال . وفي عام 1997 بلغ عدد الدول الإفريقية التي تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع إسرائيل 48 دولة (انظر الخريطة) .

وتحاول إسرائيل جاهدة الاستفادة من دروس الماضي بما يرسخ من أقدامها في القارة الإفريقية ، وذلك من خلال التأكيد على سياستين أساسيتين : أولهما ، التعويل على خلق مصالح اقتصادية متبادلة . إذ لا يخفى أن وجود هذه المصالح هو الذي أبقى على الوجود الإسرائيلي في الدول التي قامت بقطع علاقاتها الدبلوماسية معها بشكل رسمي مثل كينيا وغانا ونيجيريا وكوت ديفوار . وثانيها ، الاهتمام بالدول ذات الأغلبية الإسلامية أو تلك التي تشهد وجود أقليات إسلامية وجاليات عربية كبيرة حيث إنها تقليدياً معادية لإسرائيل . فإسرائيل تعمد من خلال برامجها التدريبية ومساعدتها التقنية إلى « تحييد » هذه الجماعات . وليس أدل على ذلك من أن معظم المتدربين في برنامج التعاون الدولي الإسرائيلي الذي عقد في مدينة مومباسا الكينية هم من المسلمين .

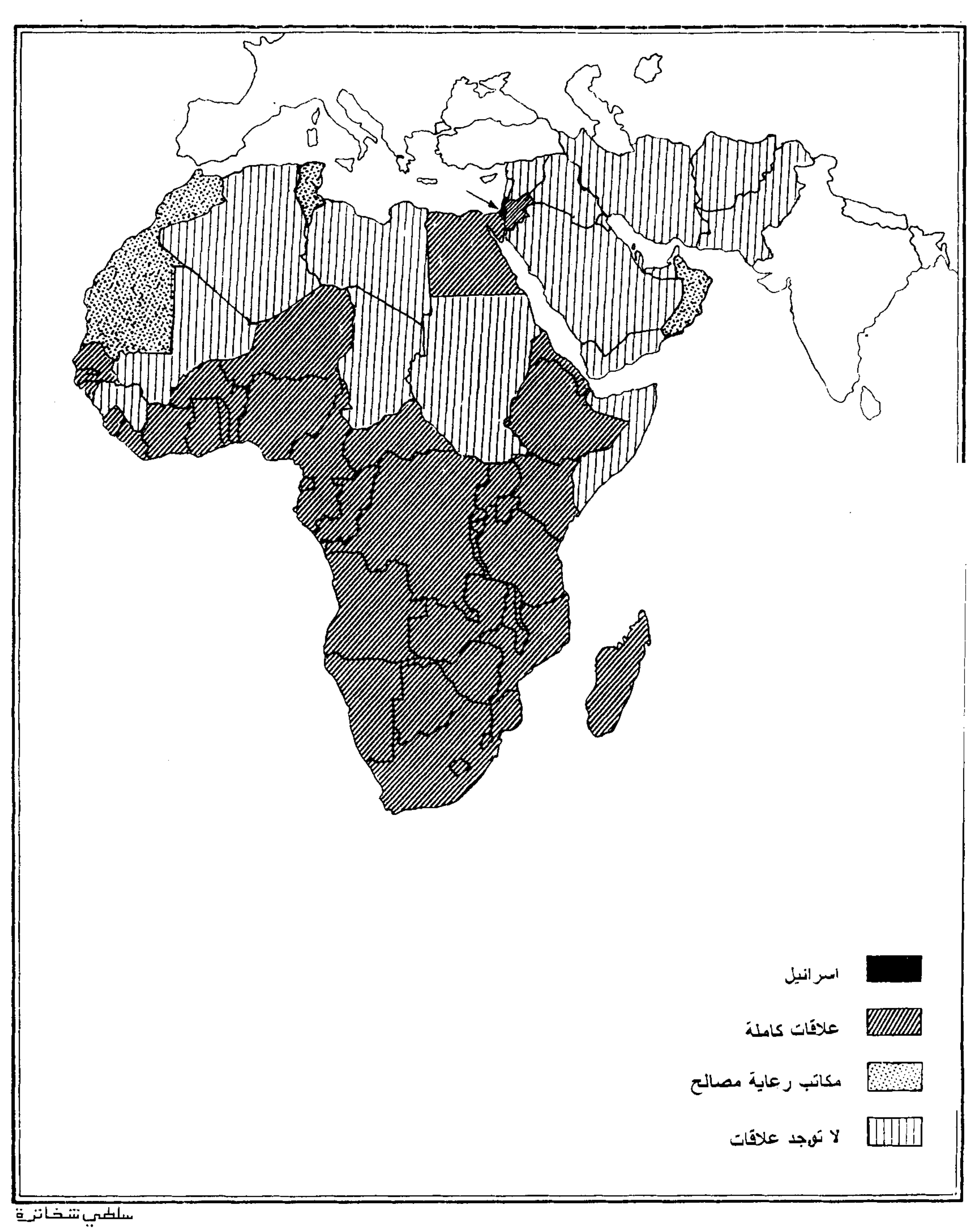
وفي عام 1997 كان عدد الأفارقة الذين تلقوا تدريباً في إسرائيل (742) متدرباً ، إضافة إلى نحو (24636) إفريقي تلقوا تدريباتهم من قبل في مراكز التدريب الإسرائيلية خلال الأربعين سنة الماضية (انظر جدول 2 ، 3) . وقد قامت إسرائيل بإعادة تقويم أداء المراكز التدريبية الخاصة بإفريقيا وهي :

- مركز جبل كارمل بمدينة حيفا والذي ينظم حلقات دراسية للمرأة الإفريقية في ميدان التنمية .
- مركز دراسة الاستيطان والذي يعرض تدريبات في البحوث الزراعية والتخطيط الإقليمي .
- المركز الزراعي الذي يوفر الخبراء والمساعدة الفنية لتعظيم استخدام الموارد المتاحة .
- قسم التدريب الأجنبي والذي يهتم بقضايا التنمية الريفية .
- المعهد الأفرو آسيوي للهستدروت والذي يهتم بأنشطة الاتحادات العمالية .

ثالثاً: التغير والاستمرار في قضايا العلاقات الإسرائيلية الإفريقية

ليس بخاف أن التغيرات الهيكلية التي شهدها النظام الدولي منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وبروز عصر العولمة الأمريكية ، وماصاحب ذلك من تغييرات في النظم الإقليمية ، ومن بينها الشرق الأوسط ، قد أفضى بتأثيرات ملموسة على تطور العلاقات الإسرائيلية الإفريقية . فدخول أطراف الصراع العربي الإسرائيلي مسار العملية التفاوضية قد أدى إلى إضفاء المشروعية المطلوبة على الكيان الصهيوني وتأمين وجوده العضوي ،

العلاقات الدبلوماسية الإسرائيلية الإفريقية



سلطي شخاترة

جدول رقم (2)

المتدربين في إسرائيل حسب المنطقة (عام 1997) .

عدد المتدربين	عدد الدول	المنطقــــــــة
742	45	إفريقيا
616	23	آسيا والأقيانوس
837	31	أمريكا اللاتينية والكاريبي
780	24	وسط وشرق أوروبا والكومنولث الروسي
1241	7	الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
213	6	أوروبا

Source : Mashav – Center for International Cooperation, Mashav Activity Report, 1977, (Israel : Ministry for Foreign Affairs, 1978).

جدول رقم (3)

المتدربين في إسرائيل حسب التخصص (عام 1997) .

عدد المتدربين	التخـــــــــصص
1360	الزراعة
1145	التنمية الاقتصادية والاجتماعية
242	تنمية المجتمع
247	التنمية الريفية والحضرية
278	الطب والصحة العامة
488	الإدارة
294	العلم والتكنولوجيا
375	التعليم

Source : Ibid.

ومن ثم فإنه يسعى في مرحلة ما بعد الحرب الباردة إلى تحقيق أهدافه التوسعية بحسبانه قوة إقليمية وذلك على حساب النظام الإقليمي العربي .

على أن هدف تحقيق الهيمنة الإقليمية لإسرائيل في المرحلة الراهنة يقتضي إعادة تقويم واختبار عدد من القضايا الهامة ضمن منظومة العلاقات المتبادلة بين إسرائيل وإفريقيا ، وذلك على النحو التالي :

1- تأمين البحر الأحمر :

لقد كانت خطورة البحر الأحمر ولا تزال ماثلة في ذهن القيادات الإسرائيلية المتعاقبة . ولنتذكر أن بن جوريون في حرب 1948 أصدر تعليماته لموشي ديان بأن يضحي بأي شيء في سبيل موطئ قدم على شاطئ البحر الأحمر . وقد حدث بالفعل أن حصلت إسرائيل على ميناء إيلات . ومن الجلي أن الدولة العبرية تصبح بدون هذا المنفذ البحري وقد انقطعت كل صلة بينها وبين إفريقيا وآسيا ، ولعلها اكتشفت هذه الحقيقة في حرب 1973 عندما تم إغلاق باب المندب في وجهها [29] .

ونظراً لغياب قواعد عربية واضحة تحكم أمن البحر الأحمر ، ومع استقلال أريتريا عام 1993 وابتعادها عن النظام العربي ، فإن إسرائيل في ظل « التسوية السلمية » سوف تضمن تلبية مطالبها الأمنية الخاصة بالبحر الأحمر . وانطلاقاً من ذلك سوف تحاول جاهدة الاستفادة لأقصى درجة من أجل تدعيم احتياجاتها الخاصة بالهيمنة والتوسع .

2- التركيز على دول القرن الإفريقي :

وتسعى إسرائيل من جراء ذلك إلى تحقيق أكثر من هدف واحد انطلاقاً من المتغيرات التالية :

- وجود جالية يهودية كبيرة في إثيوبيا « يهود الفلاشا » . صحيح أن إسرائيل تمكنت من نقل معظم الفلاشا إلا أن بعض الإحصاءات تؤكد على وجود نحو خمسة عشر ألفاً من هؤلاء لا يزالون يعيشون في إثيوبيا .
- ارتباط القرن الإفريقي بالبحر الأحمر والخليج العربي ومن ثم فهو يرتبط تقليدياً بمنظومة الأمن الإسرائيلي والسعي من أجل تحقيق اعتبارات التفوق العسكري والاقتصادي .
- ترتيب التوازن الإقليمي في المنطقة يرتبط بالأمن القومي العربي عموماً والمصري تحديداً وذلك على ضوء العلاقات الصومالية الإثيوبية والإثيوبية الإريترية . والتواجد الإسرائيلي في المنطقة يساعد على تحقيق متطلباتها الأمنية .

---

(29) حول موقع البحر الأحمر في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي ، انظر : علاء سالم ، « إسرائيل والقرن الإفريقي : المنطلقات الإستراتيجية وأنماط التحرك » ، التعاون ، المجلد 10 ، العدد 39 ، 1995 ، ص144-188 .

ومن الملاحـظ أن إسرائيل حافظت على تواجدها دائماً في إثيوبيا بغـض النظر عن طبيعـة النظام الحاكم [30] . فمع تنامي المخاوف الإثيوبية خلال عهد هيلاسلاسي من « ثورية » النظام الناصري في مصر والذي تعهد بطرد إسرائيل من إفريقيا ، سعت الدولة العبرية إلى تدعيم تواجدها في إثيوبيا ، وأرسلت عملاء الموساد لتدريب قوات الشرطة الإثيوبية .

ومع سقوط نظام هيلاسلاسي ومجيء نظام منجستو ظلت إسرائيل على علاقة وثيقة بإثيوبيا ، ولا أدل على ذلك من أن إثيوبيا امتنعت عن التصويت على قرار الأمم المتحدة عام 1975 والذي يقضي بمساواة الصهيونية بالعنصرية . وبدخول القرن الإفريقي في أتون الصراعات الإثنية والسياسية ، حيث انقسمت الصومال إلى دويلات وفقاً لمنطـق حرب الكل ضـد الكل ، وانهمكت كل من أريتريا وإثيوبيا في صراع مرير ، ثم فتح المجال واسعاً أمام تدخل أطراف أجنبية من بينها إسرائيل [31] .

3- التركيز على دول حوض النيل :

وليس بخاف أن هدف إسرائيل الثابت من تواجدها في هذه المنطقة هو الرغبة في الحصول على مياه النهر والضغط على صانع القرار المصري نظراً لحساسية وخطورة « ورقة المياه » في الإستراتيجية المصرية . وأطماع إسرائيل في مياه النيل قديمة ومعروفة [32] . وعندما زار السادات القدس لأول مرة عام 1977 أحيا فكرة مد ترعة من النيل إلى النقب ، وهو ما نظر إليه البعض على أنه تعبير عن الرغبات الأمريكية والإسرائيلية الحقيقية . وبالفعل تقدمت إسرائيل بعدة مشروعات للحصول على نسبة 1% من مياه النيل . وقد حاولت إسرائيل في ظل المفاوضات متعددة الأطراف الخاصة بمشكلة الشرق الأوسط أن تطرح هذه القضية إلا أنها لم تنجح في ذلك .

(30) لقد استغلت إسرائيل الدعم العربي للثورة الأريترية في كسب تأييد إثيوبيا ، حيث حصلت إسرائيل على تسهيلات عسكرية لقواتها البحرية والجوية ، ولاسيما في جزر دهلك وجالي ، كما أنها شجعت دوماً إثيوبيا على معارضة أي ترتيبات عربية مشتركة لأمن البحر الأحمر . انظر المرجع السابق ، ص155–167 .

(31) يمكن التمييز في سياق الاختراق الإسرائيلي لمنطقة القرن الإفريقي بين نمطين للسلوك : أولهما ، يتمثل في دعم جماعة إثنية حاكمة وذلك في مواجهة الجماعات غير الحاكمة . وثانيهما ، يتمثل في دعم ومساندة جماعات إثنية معارضة وذلك في مواجهة السلطة الحاكمة . ويتسم السلوك الإسرائيلي بالمرونة والتكيف وفق مقتضيات الأحوال وبما يحقق مصالحها وأهدافها الإستراتيجية ولعل سياستها تجاه كل من إثيوبيا وأريتريا تعد مثالاً واضحاً بهذا الخصوص .

(32) حمـدي عبـد الرحمـن حسـن ، « إمكانيات تدعيم الأمن المائي العربي » في مصطفى كامل السيد (محرر) ، حتى لا تنشب حرب عربية – عربية أخرى : من دروس حرب الخليج ، القاهرة ، مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة ، 1993 ، ص520–521 .

ومن المعروف أن إسرائيل تلعب دوراً غير مباشر في صراع المياه بين دول حوض النيل استفادة من نفوذها الكبير في دول مثل إثيوبيا وكينيا ورواندا .

ومع تفجر الصراع في منطقة البحيرات العظمى بعد الإطاحة بنظام موبوتو في الكونغو الديموقراطية حاولت إسرائيل المساهمة في إعادة ترتيب الأوضاع وذلك تحت المظلة الأمريكية التي تقوم بدور نشط في هذه المنطقة مقارنة بالنفوذ الفرنسي التقليدي [33] . وتكمن الرؤية الإسرائيلية في النظر للمنطقة بشكل شمولي أي بامتداداتها الجغرافية في القرن الإفريقي والبحر الأحمر . ولتدعيم نفوذها في المنطقة تعمل إسرائيل على :

- تشجيع جيل من القادة الجدد الذين ينتمون إلى الأقليات في بلدانهم ويرتبطون مع الولايات المتحدة – وبالطبع إسرائيل – بعلاقات وثيقة ، ومن هؤلاء : ميلس زيناوي في إثيوبيا ، وأسياسي أفورقي في أريتريا ، وجون جارانغ في جنوب السودان ، ويوري موسيفيني في أوغندة ، وبول كاجامي في رواندا .
- محاصرة الأمن القومي العربي ولاسيما في امتداده المصري والسوداني وفق إستراتيجية « حلف المحيط » ، أي إقامة تحالفات مع الدول والجماعات الإثنية والدينية المعادية للعرب ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاستفادة من تواجدها في المنطقة للتلويح بورقة المياه في مواجهة السياسة المصرية .

4- الوقوف في وجه الدول والحركات المعادية للغرب :

وفي هذا السياق يمكن تفهم الموقف الإسرائيلي من كل من ليبيا والسودان في ظل حكم الجبهة القومية الإسلامية . أضف إلى ذلك فإنها تحاول مساعدة الدول الإفريقية ضد الحركات الإسلامية الأصولية . وتسعى إسرائيل من وراء ذلك إلى تحقيق أكثر من هدف واحد :

- إذ أنها تقدم نفسها للعالم الغربي باعتبارها المدافع الأول عن القيم الديمقراطية العلمانية في مواجهة حركات الأصولية الإسلامية .
- وهي من جهة أخرى تحاول مساعدة الدول الإفريقية في ميادين الاستخبارات والتدريبات العسكرية ، وهي مجالات كانت إسرائيل موجودة فيها أصلاً وتمتلك مصداقية كبيرة لدى الدول الإفريقية .

---

(33) لمزيد من التفصيلات انظر : حمدي عبد الرحمن حسن ، « التوازن الإقليمي في البحيرات العظمى والأمن المائي المصري » ، السياسة الدولية ، عدد 135 ، يناير / كانون الثاني 1999 ، ص22-37 .

5- المساعدات الفنية والعسكرية :

وقد اشتملت منذ البداية على ثلاثة مجالات أساسية وهي : نقل المهارات التقنية وغيرها من خلال برامج تدريبية معينة ، وتزويد الدول الإفريقية بخبراء إسرائيليين لمدد قصيرة أو طويلة المدى ، وإنشاء شركات مشتركة أو على الأقل نقل الخبرات والمهارات الإدارية للشركات الإفريقية . ومن الملاحظ أن إسرائيل بقدراتها الاقتصادية المحدودة كانت تركز على هذه المساعدات الفنية . ومع عودة العلاقات الإسرائيلية الإفريقية في الثمانينات تم التركيز على المساعدات العسكرية الإسرائيلية في مجال تدريب قوات الشرطة وقوات الحرس الرئاسي لعدد من الدول الإفريقية مثل زائير والكاميرون . وفي عام 1997 حاولت إسرائيل إعادة النظر في سياستها الخاصة بالتعاون الفني مع إفريقيا على ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية الجديدة في إفريقيا وإن تم التأكيد على نفس البرامج التي قدمتها إسرائيل في سنوات الستينيات وأوائل السبعينيات (34) .

وأياً كان الأمر فإن إسرائيل تولي علاقاتها الإفريقية أهمية خاصة للأسباب والمحددات السابق بيانها . وعلى الرغم من دخول الصراع العربي الإسرائيلي منعطفاً تاريخياً مهماً بعد عمليات « التسوية السلمية » فإن إسرائيل لاتزال تعول في حركتها الخارجية على إستراتيجية إضعاف الخصم موضع التعامل . وقد أوضحت الدراسة مؤشرات تلك الإستراتيجية من خلال بيان طبيعة الدور الإسرائيلي في مناطق القرن الإفريقي وحوض النيل والبحيرات العظمى ، ومساندة ما يسمى بجيل الزعماء الجدد في إفريقيا . أضف إلى ذلك فإنها تشجع وتساند جماعات الأقليات ، ولا تتردد في هذا الخصوص في أن تقدم المعونة المادية والخبرة ، بل وتتولى تدريب رجالها على حركات العنف المسلح . ولنتذكر في هذا السياق المحاولات الإسرائيلية الدؤوبة لنشر الفتن بين الأقليات غير العربية في شمال إفريقيا وجنوب السودان .

---

(34) في عام 1997 قام مركز التعاون الدولي التابع للخارجية الإسرائيلية بعقد ورشة عمل بعنوان « سياسات التعاون الدولي الإسرائيلية في إفريقيا » . وكان السؤال المحوري هو كيفية استخدام الموارد المحدودة المتاحة للمركز لتنفيذ برامج في قطاعات اجتماعية واقتصادية متباينة داخل إفريقيا وذلك بما يحقق الأهداف والمصالح المرسومة للكيان الصهيوني .